Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تثير الرواية أسماء رئيف خوري وغرامشي وسواهما من الشيوعيين الانتقاديين، لتوكيد الانتقادي في شخصية زبيد الذي تلحّ الرواية على المطابقة بينه وبين الكاتب. ولكن، إذا كانت سيرة حنا مينة تجافي قليلاً أو كثيراً السيرة السياسية لزبيد- وسيرته مع المرأة- فالمفروض أن الرواية تفيد من هذه المجافاة، بقدر ما تقيم من مسافة بين المتخيل والواقعي.

ولكن ما الفيصل في هذه المسافة؟ في اله جافاة والمطابقة والتخيل؟ هل هو الكاتب أم ماهو متوفر أو سيتوفر من قرائن خارجية عبر تاريخ الحزب الشيوعي السوري ومرويات معاصري الكاتب وسواها؟ وإذا صح في هذه المرويات ما يتشكك في تلك السيرة، فهل للمرء أن يذهب إلى أن ضغوط ما طرأ على الاتحاد السوفياتي والصين والحزب الشيوعي السوري وسواه من متغيرات، على الرواية، هو ماجعل الكاتب يجيّر زمن الرواية -أواخر الخمسينات ومطلع الستينات- لما سيلي بعد ثلاثة عقود؟ وهل سيكون ذلك سبب ارتسام زبيد على هذا النحو المستقبلي السوبرماني بقدر من الإقناع لايحسد عليه؟.

لعل ذلك كله يزداد توكيداً عبر متابعة السيرة السياسية لزبيد في بعدها الصيني. فحيث العربدة ممنوعة، والعيون الخفية تراقب الخبراء الأجانب ولا تتدخل، وحيث التحرش بصينية أو حبها أوزواجها محرم على الأجنبي، في هذا البلد يبدو زبيد كأن لاعمل له، ليل نهار، سوى شرب الكونياك والمغازلة والضاجعة. ولا تستعصي عليه الصينية. وفي الآن نفسه يبدو كأن هذا المغامر السكير الدون جوان لاوقت لديه إلا لمراجعة الترجمات، وهو يختار مها مايراه ضرورياً لحركة التحرر العربية. أما دروسه الجامعية فتتوقف لامتناعه عن انتقاد الاتحاد السوفياتي، وبالتالي لامتناع الطلاب عن دروسه. وعلى أية حال، فدرب المغامرة تصل بزبيد إلى سجن الخطرين إثر محاولة جيفرسون الانتحار. وهو يزوره مع السيدة نلسون، ويفضح تحريض النازيين والفاشيين المندسين في الصين. ويبدو السجن فرصة زبيد لكشف جانب معتم آخر من الحياة الصينية، ولتوكيد فرادته. فهو الذي يهدي السجين المحكوم بالإعدام (فون تو) إلى البقعة البيضاء في قلبه، ويكون السجن فرصة أيضاً لتقديم شروح في البوذية -كما كانت حالة جيفرسون لتقديم شروح علمنفسية- وحكايات السجناء. ومن المحقق (تن بو) إلى المرافق عبد القادر الذي يغدو معجباً بزبيد، إلى تشوتن